القصص

من الفن القصصي الحديث

حقيبة القـــدر

للقصصي الألماني لدفج باوَرْ Ludwig Bauer

كان جورج شاباً هادىء الطبع فاضل الخلق ، لم يكد يخرج من أزمة بسيطة انتابته حتى استقل القطار قاصداً بلدة صغيرة ليشغل فيها وظيفة متواضعة . وكان كل شيء يبدو لجورج عادياً لا خطر له ، وقد مرت سنو عمره دون أن تتخللها مغامرة ، أو يعتريها حادث خطير يهز حياته التي كانت أشبه بحياة أبناء الطبقة الوسطى ، وعند ما بلغ القطار عند منتصف الليل المكان الذي يقصده جورج أخذ حقيبته من الغرفة المكتظة التي كان يجلس فيها مولياً وجهه شطر حياته الجديدة

وصل جورج الى الفندق الصغير الذي عزم على الأقامة فيه ، وعند ما ذهب إلى سريره لينام نظر الى الحقيبة ، وسرعان ما علته الدهشة ، فقد كانت تشبه ولاشك حقيبته ، ولكنها لم تكن هي بذاتها ، على أن جورج خشي أن يكون مخطئاً في تقديره ، فحاول أن يفتحها بالمفتاح الذي لديه ، ولكن عبثاً حاول . على أنه عند ما ضاعف جهده انفتحت فجأة . وكانت أول نظرة ألقاها كافية لأن تثبت له أنه لم يكن مخطئاً . نعم كانت الحقيبة لشخص آخر .

أما حقيبته الأصلية وما فيها من سقط المتاع وهو كل ما يملكه ، فقد كانت في ذلك الوقت تجوب الآفاق المجهولة حيث لاصاحب لها . ووجد جورج نفسه — وهو الذي لم يصادف في حياته مشاكل صعبة يحتاج لحلها — عاجزاً منذ اللحظة الأولى عن أن يجمع في ذهنه فكرتين أثناء ذهوله ودهشه . ما العمل الآن ؟ كيف يستطيع الحصول على البذلة التي يرتديها أيام الآحاد أو على زوج حذائه الثاني وسائر ملابسه ؟ كان جورج يأمل أن يجد في محتويات الحقيبة بعض المعلومات عن مالكها الحقيق الذي قد يكون هو الآخر مستاءً من استبدال حقيبته بأخرى ، لذا شرع جورج يبحث أثناء تفتيشه في الملابس المتسخة عما يدله على الشخص الذي أخذ حقيبته . وشعر تحت يديه برزمة من الأوراق ، فلما جذبها وجدها سلسلة من الخطابات والرسائل البرقية ، وأفلتت هذه الرزمة من يد جورج فانتشرت على أرض الغرفة رزمة من الأوراق المالية من كل نوع

لم يعرف جورج من هذه الأوراق الغريبة المتعددة الألوان إلا عدداً ضئيلاً . وجمع جورج الأوراق المالية واستمر في البحث ، فاكتشف في قاع الحقيبة المفروشة بالورق ما يشبه وسادة منتفخة من الأوراق المالية المختلفة . ونظر جورج حواليه وقد انتابه العجب والذهول منتظراً شخصاً يأتي اليه ليوقظه من ذلك الحلم اللذيذ المخيف في وقت واحد . على أنه لم يأت أحد ، وبقيت الأوراق في موضعها دون أن تختفي ، كما لو كان الأمر حلماً من الأحلام . لم يكن جورج قد رأى من قبل مثل هذا القدر من المال . أخذ يعده ، وكان حبه للنظام يجعله يضع كل نوع من الأوراق على حدة ، دون أن يعرف بالضبط قيمة كل منه ، على أنه بعد بضع دقائق عرف جيداً أن ما أمامه مقدراً بالعملة الذهبية ، يتراوح بين مليون ونصف ومليونين . وكان يستطيع حينئذ أن يقول لنفسه إن محتويات حقيبته قد دُفع لها ثمنٌ أكثر من الثمن الذي تساويه . على أن هذه الفكرة لم تخطر بباله . وكل ما كان يضايقه هو فكرة الاتصال بصاحب هذه الكنوز ،

البيان أن محطة الأذاعة المصرية إنما قصرت عن مجاراة المحطات العالمية الأخرى لعاملين اثنين : أولهما ضعف قوتها ، فقد جعلوها (٢٠ ك‌و) والعالم العربي منتشر من أقصى الشرق الى أقصى الغرب ، والأمة ذات اللسان المنتشر لا تكتفي بأقل من (٦٠ ك‌و) ؛ وثانيهما أن موجتها ذات مقياس مشترك مع محطة الأذاعة الفرنسية لعاصمة البلجيك ، وذلك ولا شك يؤثر في قوتها ويزيد من اضطرابها . وهما ملاحظتان جديرتان بالنظر

واستبدال كل من الحقيبتين بالأخرى . قال لنفسه :

— لعل من الخطابات مايدل على اسم صاحب الحقيبة وعنوانه

كان جورج شاباً ذا خلق قويم ، لذا كانت فكرة البحث فى الخطابات التى لم تُكتب إليه تضايقه وتؤلمه . على أنه فى هذا الظرف كانت الضرورة ومصلحة كل من الطرفين تحتمان عليه أن يفعل ذلك . لذا شرع يقرأ

قرأ جورج الخطابات فعرف من القراءة أشياء كثيرة لم يعرفها طول الثلاثة والعشرين عاماً التى قضاها فى هذا العالم : أشياء لم تكن تخطر له ببال . لم يستطع جورج أن يفهم جيداً هذه الخطابات ، فقد شعر منذ ابتدأ فى قراءتها أنها ممتلئة بالتلميحات والكلمات السرية والمصطلحات . على أنه استطاع أن يدرك أن هذه الأوراق المالية هى ملك أحد لصوص الفنادق ذوى النفوذ الواسع ، وكانت تصل إليه من شركائه ومن صديقة عزيزة كل أنواع المعلومات والارشادات . ولمعت أمام عينى جورج أسماء كثير من الأماكن والبلدان الأجنبية التى تمتاز بفنادها ورفاهيتها . وفى بلدة (كان) على الخصوص استطاع ذلك اللص الخطير أن يلعب دوراً رائعاً مع السائحين الأمريكيين . وفهم جورج من آخر خطاب أرسلته صديقة ذلك اللص إليه أنه يريد أن يضع حداً لمغامراته ويلجأ إلى الراحة والعزلة . فقد كان الاثنان يملكان ثروة كافية . وكانا يستطيعان أن يعيشا من الآن حتى آخر العمر عيشة مدنية مريحة ، فقد كانت الحلى قد بيعت بثمن ضخم ، ولم يبق إلا قفل من الزمرد كان يمكن أن يباع بخمسين ألف فرنك لولا أنه كان من المحتم أن تنتهى عملية البيع خفية وبأسرع ما يمكن . ولذلك بيع بثمن غير مناسب . وعرف جورج أثناء قراءته أن كل شئ قد أعدّ وأن السعادة الأكيدة كانت تنتظر الصديقين بعد محن عديدة وأخطار لاعدد لها أمكن التغلب عليها بمهارة وشجاعة

ووضع جورج رأسه فى الماء البارد . كان من اللازم أن يتخذ قراراً . فقد كان واثقاً على الأقل أن صاحب الحقيبة سوف لا يأتى إليه ليستبدل حقيبته بالأخرى لأنه لا يحب أن يقبض عليه . كان أكثر الأمور احتمالاً إذن أن يلوذ اللص هارباً ببذلة جورج وحذائه وملابسه التى منها عدد من القمصان الجديدة كان يحبها جورج ويفتخر بها . وأن يقع العبء كله على كتفى جورج وحده . فهذه الحقيبة التى لديه بحجمه هو الذى اخترق الجدران والأسطح ، وهو الذى تسلح بالليل البهيم والمسدس فى قبضته ليدخل الفنادق الفاخرة فيحطم صناديق الجواهر الموضوعة إلى جانب أصحابها السابحين فى نومهم . على أن هذا اللص كان أيضاً بالنسبة لجورج المحسن المجهول ، فقد ترك له ثمرة حياته الاجرامية الطويلة المفعمة بالمغامرات ، فبعد أن أراد ختام هذه الحياة والفراغ من هذه المهمة وبعد أن وثق من الغد ورقد فى القطار يستريح مجهوداً مكدوداً ، أخذ جورج حقيبته دون أن يدرى . ولا بد أن ذلك اللص الخطير قد ثار فى تلك اللحظة غاضباً يسخط حيناً ويقسم حيناً آخر لا يعرف إلى من يشكو ، لاعناً ذلك السارق القدير الذى خدعه وانتزع منه قائمة أعماله كلها . تلك القائمة التى ضحى من أجلها كثيراً ولاقى فى سبيلها الأهوال . على أن هذا السارق القدير ليس فى الواقع إلا شاباً من أسرة متوسطة فاضل الخلق طاهر الذيل ، لم يكد يقع فى هذه المشكلة الخطيرة حتى أحس فى عقله البسيط رعباً فظيعاً وعذاباً مضنياً

واتخذ جورج قراراً سريعاً ، وقام لفوره وأغلق الحقيبة وتقدم نحو باب الغرفة متجهاً إلى مركز البوليس ليعرض مسألته : وقد أحس وهو يفعل ذلك بالهم والحسرة ، ولكنه كان يعزى نفسه كلما فكر فى المكافأة التى يمكن أن يحصل عليها بسبب تبليغه ومساعدته فى القبض على ذلك اللص الخطير . وأخذ يحسب ما سوف يناله من المال لو كانت هذه المكافأة خمسة أو ستة فى المائة

وجد جورج نفسه أمام دائرة البوليس ، ونظر الى الجرس متأملاً مفكراً ، ولم يكد يضع أصبعه على الزر حتى تبدد حلمه فى الغنى والجاه . على أنه بالرغم من ذلك سوف يدخن — عندما يقبض المكافأة — نوعاً من السجائر أغلى ثمناً من النوع الذى يدخنه ، وتذكر — وهو يدق الجرس — والديه الكريمين المتوفيين ، وتذكر معهما تلك الدروس القيمة التى كان يتلقاها منهما ؛ وتذكر أيضاً تلك العبارة (إن المال المكتسب عن طريق غير شريف لايأتى بفائدة) . وكان يقول لنفسه أيضاً : إن البوليس سوف يعثر عليه يوماً من الأيام . لقد دفعه كل ذلك إلى أن يدق الجرس بغير قوة ولا عزم ، ولكنه دق الجرس والسلام . وانتظر ... ولكن لم يجبه أحد . ودق المرة الثانية واستمر واضعاً إصبعه على الزر ، وانبعث صوت شخص نائم يسأله ماريد ، طالباً منه أن يعود فى اليوم التالى ، لأن دائرة البوليس لاتفتح أثناء الليل . وسمع فى ذلك الوقت صوتاً صاخباً هو صوت نافذة تقفل بعنف

عندما رجع جورج الى الفندق بدا له فجأة أن مشيئة علوية

هي التي أرادت ألا تسلم الحقيبة الى دائرة البوليس . فقد فعل كل ما يستطيع حتى أنه عرض نفسه للخطر ولكن الله لم يشأ ، لذا ترك جورج كل فكرة فى الذهاب الى دائرة البوليس واعتقد أنه يجب أن يكون أكثر شجاعة وجرأة . ومرة واحدة وجد نفسه عازماً على الاحتفاظ بالمال . ولمَ لا ؟ ليس هو الذى سرقه ، كما أنه ليس من الأجرام أن يأخذ الانسان من لص خطير مالاً حصل عليه بطريقة غير شرعية . وأحس جورج دفعة واحدة باحساس جديد ، واكتشف فى قلبه راحة خفية كانت ولاشك نتيجة شعوره بأنه غني . وفكر جورج فى كل تفاصيل حياته المستقبلة . سوف لايرجع مطلقاً الى منزله . كذلك من البديهى ألا يبقى أيضاً فى تلك البلدة الصغيرة ، فسينتاب أهلها العجب والرعب حين يرون التغييرات الكبيرة فى عاداته ومعيشته . على أن جورج لم يكن يعرف فى الواقع ماسوف يفعله بكل تلك الثروة الهائلة ، فهذا شيء جديد لم يتعلمه من قبل ولم يهيء نفسه له . وهو الآن يريد أن يستعد لتلك الحياة الجديدة ويتخذلها أهبتها بعد أن اختاره الحظ الزاهر ليتمتع بثروة ذلك اللص الخطير الذى ولد ليكون طول حياته سيء الحظ منكود الطالع

وعندما بلغ جورج المحطة ليستقل القطار فكر فى ذلك المحسن المجهول دون أن تبدو عليه عاطفة الاعتراف بالجميل . بل كان يغمره سرور من يلتذ بايلام الغير

* * *

وبعد أشهر كان جورج يسكن قصراً على ساحل الريفييرا ، وكان يرتدى أفخر الملابس وأنقاها ، وقد أصبح الجاه عنده أمراً طبيعياً جداً . على أنه فى داخل نفسه كان يشعر بالضيق . وكان كلما فكر فى أمره وجد نفسه ليس أكثر سعادة من ذى قبل

وفى ذلك اليوم عندما أوشكت عينه أن تغمض سمع وقع أقدام ونجة فى ردهة القصر . ما الذى يحدث ؟ لبس جورج بيجامته الحريرية وخرج من الغرفة . لم يحدث شيء غير عادى ، فقد قُبض على أحد لصوص الفنادق فى اللحظة التى كان يفتح فيها باب غرفة نوم جورج . ورأى جورج وجه الرجل الذى كان رجال البوليس السرى والخدم يمسكونه بقسوة ويسوقونه أمامهم . وبدا لجورج أنه رأى ذلك الوجه . ولكن أين ؟ وسرعان ما تذكر وقد ملأه الوجل : أنه الشخص الذى كان يحتل المقعد المقابل له فى القطار يوم وقع حادث الحقيبة الشهير

وابتسم جورج ابتسامة صفراء وألقى بنفسه ثانية على سريره ، على أن نومه طول تلك الليلة كان قلقاً مضطرباً .

على كامل

بعض الكتب الجديدة

(الأدب العربي وتاريخه فى العصر الجاهلي) للأستاذ محمد هاشم عطية

(شهيرات التونسيات) للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

(أيام بغداد) للأستاذ أمين سعيد

ألف الكتاب الأول الأستاذ محمد هاشم عطية المدرس بدار العلوم ، لينتفع به طلاب هذه الدرسة وطلاب كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية ، وقد جعله قسمين يقعان معاً فى نحو أربعمائة صفحة كبيرة . ففى القسم الأول تكلم الأستاذ أولاً عن معنى كلمة الأدب ومنشئها ، ثم حدد العصر الجاهلى وانتقل الى أقوال العلماء فى الأدب الجاهلى ، فأورد طرفاً منها فى معرض التدليل على صلاحية هذا الأدب ليكون مرآة للحياة الجاهلية ، ثم تكلم عن تاريخ الأدب والمراد منه وفائدته وعلاقته بالتاريخ العام ، ودرس جزيرة العرب وأصل العرب وطبقاتهم ، ونشأة اللغة عامة والعربية خاصة وخصائص اللغة العربية ، ومعارف العرب فى الجاهلية ، والنثر الجاهلى والشعر الجاهلى وخواصهما ؛ ثم درس المعلقات درساً مفصلاً . وأما القسم الثانى من الكتاب فقد جعله للتراجم بعد أن مهد له بفصل ممتع فى النقد الأدبى وتاريخه وأصوله ، وترجم فيه لأمرىء القيس والنابغة وزهير والأعشى ولبيد وطرفة وعبيد ابن الأبرص وأوس بن حجر وأمية بن أبى الصلت

فالكتاب كما ترى من وصفه حسن الترتيب حافل بالمعلومات التى لابد منها لطالب الأدب ، وهو فى شكله المدرسي هذا كفيل بأن يفيد جمهور المثقفين من غير الطلاب ؛ بيد أن هذا الشكل أو هذا الوضع المراعى فيه منهاج الدراسة قد حال بين الأستاذ على رغم مايبدو من متانته وضلاعته وسعة اطلاعه ، وبين ما كان يتطلبه الكثير من الموضوعات من البسط والاستيعاب ، ومن أمثلة تلك الموضوعات مسألة الانتحال والرواية والحياة الاجتماعية للعرب ، وهما موضوعان أساسيان فى مثل هذا الكتاب ، وكثيراً ما يحول التقيد بالبرنامج بين المؤلف وبين ما يريد ، فيجعل بحثه خاصاً أكثر منه عاماً ، ويكون الى إيراد المعلومات المتنوعة أقرب منه الى

التحليل والاستقصاء والاستدلال ، ولا سيما في المسائل العامة التي يبنى عليها فهم الأدب فهماً صحيحاً ، وهذا واضح في القسم الأول من الكتاب ، أما في القسم الثاني حيث سمح المنهاج للأستاذ بالتحليل والدرس الدقيق ، فقد تجلت براعته وأصالته وحسن ذوقه . فاذا نحن نقدنا الكتاب في شكله الحالي ككتاب مدرسي لا يسعنا إلا أن نضعه في عداد الكتب المدرسية الممتازة ، كما لا يفوتنا أن نرجو الأستاذ الفاضل أن يستغل علمه ومقدرته في بسط ما أجمل في رسالة أخرى تنفع المتأدبين عامة

* * *

أنتقل بالقارئ بعد ذلك الى هذا البحث الطريف ، الذي اضطلع به الأستاذ العالم التونسي الفاضل حسن حسني عبد الوهاب ، وهو بحث تاريخي أدبي في حياة النساء النوابغ بالقطر التونسي من الفتح الاسلامي الى الزمان الحاضر

ذكر الأستاذ في مقدمة كتابه أن ما دعاه الى وضعه ما جرى من حديث بينه وبين صديق له حول الكتاب المسمى (الدر المنثور في طبقات ربات الخدور) وقد أشار عليه صديقه أن يضع كتاباً في شهيرات التونسيات ، فهزته إلى هذا العمل عاطفة قوية كان ثمرتها هذا الكتاب الذي أحدثك عنه . وقد تكلم فيه الأستاذ عن نابغات النساء في تونس في الدور العربي ، والدور الأغلبي ، والدور العبيدي ، والدور الصنهاجي ، والدور الحفصي ، والدور التركي ، والدور الحسيني ، وترجم في هذه الأدوار جميعاً لعدد من كرائم السيدات ، مبيناً مآثرهن وأدبهن في حديث طلي وعبارة قوية . ولن تقف أهمية هذا الكتاب عند الترجمة لهؤلاء الأوانس ، بل إنك لتجد المؤلف الفاضل يربط الموضوع بالتاريخ في مهارة وكياسة ، فتجد في كل دور من هذه الأدوار التي مر ذكرها ظلا للعصر الذي يقع فيه ، وتطالع ألواناً مختلفة من ألوان الحياة الاجتماعية ، ومألوف العادات والتقاليد ، هذا فضلا عما كان يبثه المؤلف في ثنايا الكتاب من الحكمة والأدب والموعظة الحسنة ، والطرف الأدبية ، مما هو جدير بمن كان له مثل أريحيته وأدبه ، وإني إذ أقدم هذا المؤلف الطريف لجمهور القراء في العالم العربي آمل أن يحذو حذوه المؤلفون في الشرق ، فما أحوجنا في نهضتنا الحديثة الى المثل العليا في عالم المرأة ، وما أجدرنا أن ندفع عنا تلك الاتهامات القاسية التي توجه الى المرأة الشرقية في غير تحرج ولا استحياء ، وفي كثير من الجهل والادعاء

* * *

أما أيام بغداد فهو كما يعرفه الأستاذ المؤلف أمين سعيد ، وصف شامل لنهضة العراق الحديثة ولعماله التاريخية ، والقارئ يذكر أن الرسالة قد قدمت إلى قارئيها منذ وقت قريب كتاباً كبيراً للأستاذ المؤلف هو « الثورة العربية الكبرى » . ومن هذين الكتابين تدرك مقدار اهتمام الأستاذ أمين بالشرق العربي ومدى حماسته له . أما هذا الكتاب فيقع في نحو مائتين وخمسين صفحة ، جيد الطبع متين الورق ، وهو كسائر كتب الرحلات يجمع بين اللذة والفائدة . ولا سيما أن موضوعه العراق ، ذلك القطر الفذ في تاريخه

افتتحه المؤلف الفاضل بفصل في النقد في بلاد العرب ، ثم بآخر في سكة حديد فلسطين والاستعمار الصهيوني ، وبعد ذلك تبتدئ رحلته في فصل عنوانه إلى بغداد ، فينتزعك من وسطك ويسير بك إلى تلك البلاد ، فاذا أنت معه على ضريح المغفور له الملك فيصل ، ثم إذا بك كأنك ترى حفلة التأبين الكبرى ، فوصف الأستاذ دقيق ، والموضوع ذاته يستهويك ويحيطك بجو خيالي ملئ بالصور . ولقد حافظ الأستاذ على هذه الدقة في وصف جميع الأماكن التي زارها والحفلات التي حضرها ، ثم انه لم يقتصر على الوصف وعلى إيراد ما رأى ، بل تراه يحدثك عن بعض المسائل الهامة في العراق كالعمران في بغداد والمدرسة العسكرية في الكرادة ونهضة التعليم في تلك الديار ؛ وما هو أهم من ذلك كمدى نفوذ الانجليز هناك ومعسكراتهم ومطاراتهم ، وأخيراً تراه يحدثك عن الأشوريين وأحوالهم حديث من رآهم وخبرهم بنفسه

وأنا وإن لم أر العراق أحس أنني قد استفدت من هذا الوصف ، ووقفت به على كثير من المسائل التي كنت أجهلها والتي كانت تشغل ذهني ، كما أني استمتعت به كما لو كنت أرى هاتيك الصور على الشاشة البيضاء ، أما من حيث مطابقة ما ذكر الأستاذ للواقع ومقدار إحاطته بضروب الأصلاح والتعمير في العراق ، فالأمر في ذلك متروك للقارئ العراقي ولمن زار العراق من أبناء مصر وأهل الأقطار العربية

الخفيف